

## سيكولوجية الخطاب الديني والرسالة الدعوية في ظل الثورة المعلوماتية

## The psychology of religious discourse and the missionary message in shade

## Technology and the information revolution

حسن محمد أحمد محمد\*<sup>1</sup>

كاتب وباحث أكاديمي (السودان)، tleap2@hotmail.com

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ القبول: 2021/11/28

تاريخ الاستلام: 2021/05/15

## الملخص:

طرحت هذه الدراسة موضوع، (سيكولوجية الخطاب الديني والرسالة الدعوية، في ظل الثورة المعلوماتية)، للبحث؛ وذلك من أجل ربط القديم بالمستحدث، فالدعوة إلى الله، تعالى، قديمة أما الطفرة التقنية فهي آخر ما أفرزته لنا التقنية الحديثة. وقد ضم البحث مقدمة بالإضافة إلى مباحث ثلاثة: الأول: مهد الدعوة الإسلامية وبيئتها الجغرافية. الثاني: علم النفس والإعلام. الثالث: مفهوم الدعوة في ظل التقنية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الديني؛ السلوك؛ المساجد؛ الدعوة؛ الثورة المعلوماتية.

**.Abstract:**

This research study presented a topic, (The Psychology of Religious Discourse and the Propagation Message, in light of Technology and the Information Revolution), for discussion and research, this is in order to link the old with the new developed, so the call to God, the Exalted, is old. As for the technical boom and the information revolution that brought about it, it is the last thing produced by modern technology. The study sought to link them, the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, said: Misguided by the believer, wherever he finds it, he is more worthy of it), and the indication that the hadith carries is clear and urges the Muslim to always seek wisdom.

Hence, it is obligatory for everyone who followed the path of calling to God Almighty to prepare for her several pieces of knowledge and knowledge, especially as seeking knowledge It is obligatory, the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, said: (Seeking knowledge is obligatory for every Muslim And the knowledgeable of those other than his family, such as imitating pigs, essence, pearls and gold).

The research included an introduction in addition to three topics: The first: the cradle of the Islamic call and its geographical environment. Second: Psychology and Media. The third: the concept of advocacy in light of modern technology. Then came the conclusion (last word), which included, along with the results and their discussion, recommendations and proposals.

\*المؤلف المرسل: حسن محمد أحمد محمد ؛ الإيميل: tleap2@hotmail.com

## 1. المقدمة:

في البدء، لابد من تقرير حقيقة، لا يدانها شك ولا تداخلها ريبة، وهي أن الدعوة الإسلامية هي، دعوة إنسانية تنتهج مبدأ الاقناع السلمي البعيد عن العنف والاكراه. (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فصلت: 33-34.

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) آل عمران: 110. (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) آل عمران: 104.

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)، من هنا كان لزاماً على كل من سلك طريق الدعوة أن يعد لها عدتها من العلم والمعرفة، (طلب العلم فريضة على كل مسلم. وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر واللؤلؤ والذهب).

## 2. المشكلة:

إن فكرة هذه الدراسة، البحثية، تقوم على مرتكز أساسي، وهو أنه ثمة علاقة وثيقة ووطيدة تجمع بين، أساليب وطرق الدعوة الإسلامية، وما تهدف إليه من بذور بذور التوحيد وغرس القيم الأخلاقية والإنسانية الفاضلة، وبين الطفرة التقنية التي انتظمت العالم وما أحدثته من ثورة تقنية وثروة معلوماتية منهمة ومتدفقة، صنعت من هذا العالم، المترامي الأطراف، بوتقة واحدة منصهرة في ما يسمى بالشبكة العنكبوتية للاتصالات، فانعدم الزمن وتلاشت المسافات، بين أرجاء المعمورة وما جاورها من أجرام سماوية أخرى. من هذا الباب كان لزاماً على العلماء، الباحثين والدارسين، أن يوثقوا الصلة بين أنشطتهم

الخطابية الدعوية وبين نشر العقيدة الدينية الإسلامية، القائمة على بث الوعي ونشر ثقافة المحبة والسلام بين الناس كافة؛ حتى لا تتفشى في المجتمع ما بات يعرف اليوم بفوضى الفتوى الرقمية المتفشية في العالم الافتراضي وعلى الفضائيات التي زحمت الفضاء.

### 3. الأهمية:

يعد موضوع هذه الدراسة من الأهمية بمكان، لاسيما وأنه يجمع بين الخطاب الدعوي، من ناحية، وبين أحدث ما تفتقت عنه العبقورية البشرية من تقانة معرفية، يمكن للدعوة الإسلامية أن تفيد منها، الأمر الذي سيسهم في نشر الإسلام، متجاوزاً كل الحواجز الزمنية والمكانية واللغوية، إلخ.

### 4. الأهداف:

تسعى هذه الدراسة إلى الاستفادة من تلكم الإمكانيات غير المحدودة التي تقدمها لنا وسائل التقنية الحديثة، والمتمثلة في شبكة الأنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي:

1. أن يتمكن الدعاة، والذين نذروا أنفسهم لخدمة الدعوة الإسلامية، من مواجهة ذلك السيل المنهمر من القنوات الضالة والمضللة، والمواقع الإلكترونية التي ملأت الفضاء.
2. الاستفادة من الجوانب الإيجابية لوسائل التقنية المستحدثة وإمكاناتها المتطورة في مجال تبليغ الدعوة الإسلامية للكافة، تحقيقاً لقوله، تعالى، (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) سبأ: 54.

3. العمل على تحويل الجوانب السلبية لوسائل التقنية إلى إيجابية في مجال العمل الدعوي الإسلامي، لسد الفجوة وردم الهوة بين الفتوى الفقهية والعلمية، وبين فوضى الفتوى الرقمية.

## 5. المنهجية:

سيعتمد الباحث في هذه الدراسة على تطبيق المنهج الاستقصائي الذي يقوم على مبدأ جمع البيانات، بعد توثيقها، وتصنيفها وتحليلها ومن ثم استنباط النتائج والعمل على مناقشتها.

## 6. المبحث الأول: مهد الدعوة الإسلامية وبيئتها الجغرافية

لعله لم يدر بخلد أحد من الناس أن البقعة الجغرافية بكة، والتي عرفت، فيما بعد، بمكة، ثم مكة المكرمة، أن تلك البقعة الجبلية القاحلة سيكون لها أعظم الأثر في حياة الناس، وأنها ستلعب الدور الأبرز والأهم في تشكيل السلوك الوجداني لكثير من الناس الذين ارتبطت مشاعرهم وأحاسيسهم العاطفية بالكعبة وهي بيت الله الحرام وهي أول بيت وضع للناس:

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) آل عمران: 96.

(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) إبراهيم: 37.

وبذلك مثلت تلك البقعة الطاهرة، مكة، المركز الإشعاعي المعرفي الأول للإنسانية كافة، ومهد إبراهيم وابنه إسماعيل، علمهما السلام، الطريق للدعوة المحمدية (الإسلام) منذ فجر التاريخ وقبل أن يقطنها بشر.

لم يقتصر تأثير مكة على جانب السلوك الديني والعقدي الروحاني، في الإنسان، فحسب، بل تعدى تأثيرها إلى كل ما يرتبط بالإنسان، سواء أكان مسلمًا أو غير مسلم، فأصبحت لمكة بصمتها وقوتها، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية والمعرفية.

● صاحب الدعوة وأول الدعاة: نريد، في هذا الموضوع، الحديث عن الشخصية الدعوية لمحمد، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، ففي هذا الجانب من حياته تتجلى العبقرية الفذة

التي اتسم بها واستعصم بسلوكها، وهو الذي لم يكن يملك من وسائل الدعوة إلا القلب المؤمن، ولا من أدوات الخطاب إلا اللسان المبين، والذي أحسن استخدامه وأجاد استعماله، بسلوك هين وأسلوب لين، وهو الأسلوب القرآني المتفرد في دعوة الناس إلى اتباع الحق وهدايتهم إلى الرشاد:

(فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)  
آل عمران: 159.

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) النحل: 125.  
(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فصلت: 34.  
(فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيَنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) طه: 44.

وكثيرًا ما كان، صلوات الله وسلامه عليه، يردد في، مواعظه وارشاداته لأصحابه هذا القول "اللهم هل بلغت؟"، وكذلك قال في خطبة الوداع: "ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال: (ألا هل بلغت؟)" (مسلم 1987م)، وفي هذا دلالة على الحرص الشديد منه على انتشار الدعوة وابلغها لكل الناس، فقد جاء في الصحاح قوله: (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) (مسلم 1987م)، إن في هذا الحديث توجيهًا وإرشادًا لكل من يريد أن يحمل أمانة الدعوة إلى الله، تعالى، لكي يجعل كل مسلم من نفسه داعية إلى طريق الحق، ولكن لا بد من الوقوف عند عبارة الوعيد والتهديد الشديد الواردة في الحديث " فليتبوأ مقعده من النار"، يقول القرطبي في تفسيره: فتخويفه، صلى الله عليه وسلم، أتمته بالنار على الكذب دليل على أنه كان يعلم أنه سيكذب عليه فحذر مما وضعه أعداء الدين وزنادقة المسلمين في باب الترغيب والترهيب وغير ذلك وأعظمهم ضررا أقوام من المنسويين إلى الزهد وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركونا إليهم فضلوا وأضلوا (القرطبي 1950م).

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) المائدة: 67.

(مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) المائدة: 99.

وتحدثنا كتب التاريخ ويروي لنا كتاب السيرة عن كيف اتخذ محمد، صلوات الله وسلامه عليه، من الصبر على المكاره منهجاً وأسلوباً دعويّاً، يستعين به على تحمل أعباء رسالة التوحيد ودعوة الناس إليها:

(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا \* إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) المزمل: 5-6.

إن أمر هذه الدعوة يحتاج إلى الكثير من الصبر وتحمل الأذى، ولعله هو الأسلوب الأمثل الذي جعل الناس يجتمعوا حوله وينجذبوا له ويستمعوا لحديثه فيتداولونه في مجالسهم ويتناقلونه فيما بينهم، فصنع من بينهم دعاة ورواة لحديثه، وبهذا تشكلت وسيلة إعلامية فعالة شارك في دعمها ونشرها المؤمن وغير المؤمن، مما أسهم في خدمة هذه الدعوة الجديدة التي انطلقت من فرد واحد وفي بقعة صغيرة لم يكن يأبه أحد لوجودها، ولكن أمر تلك الدعوة ملأ الدنيا وانشغل الكثير من الناس بنشرها، منذ قرون وما زالت بل وستظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. لقد انطلقت هذه الدعوة من لسان فصيح مبين، ولا يخفى على أحد مدى قوة تأثير اللسان الخطابي، لاسيما وأن الشاعر كان هو لسان قومه، وكانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر ذبحت له الذبائح وأقامت له الولائم، إذ إن الشاعر، في ذلك الزمان، كان يمثل وسيلة إعلامية فعالة لا تضاهيها إلا بشاعر فحل يوازيه أو يفوقه في قوة الجنان وفصاحة اللسان، وورد في صحيح البخاري: عن زيد بن أسلم قال: سمعت ابن عمر يقول: جاء رجلان من المشرق فخطبا فقال، النبي، صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا" (البخاري 1976م). وفي كتاب روح المعاني "أنه، صلى الله عليه وسلم، قال: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش" (الألوسي 1970م).

(وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) مريم: 50.

وعملية الإبلاغ هي السمة البارزة والمشاركة في أفانين الكلام جميعاً حتى ما جرى منه مجرى القصص، أو مجرى الأوامر للمرؤوسين، أو مجرى الدعاء الذي يلقنه المسلم ليدعو الله على نهجه ومثاله .. (العقاد 2003م)، ويعتبر اللسان أسما ما يملكه الخطيب وأبرز مقومات الخطابة، واللسان عندما يتصل بالجنان يمثل قوة البلاغة وقمة الفصاحة، وهو الوسيلة الخطابية الأكثر تأثيراً في عقول الناس ويمكن للسان أن يعمل على تغيير السلوك المعوج في المجتمعات الإنسانية، فالخطيب البليغ هو من يملك ناصية الحديث وبلاغة الخطاب، وقد وصف داود عليه السلام برخامة الصوت ونداوته وجمال ترديده.

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ) سبأ: 10.

كذلك منح الله، تعالى، داود، عليه السلام، الحكمة وفصل الخطاب.

(وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) ص: 20.

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدَّكُرُ إِلَّا أُولُو

الْأَلْبَابِ) البقرة: 269.

وبمثل هذه الآية، وغيرها من الآيات، تتقرر مكانة اللسان وقوة فصاحته، وما يمكنه أن يحدثه من تأثير في نفوس الخاصة من الناس وكذلك العامة منهم، الأمر الذي يسهم في غرس القيم الأخلاقية الفاضلة بينهم، والمنهج القويم فيهم؛ فيتم تقويم جميع سلوكياتهم وضبطها وفق المنهج الأخلاقي الرباني المراد له أن يبقى ويستمر في المجتمع السوي الخالي من كل رذيلة والمتصف بكل فضيلة إنسانية، من أجل هذا كان الخطاب القرآني يحث الناس على اتباع هدي رسوله الكريم وأن يتمثلوا سلوكه القويم:

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) الحشر:

.7

ولتكن لنا هنا وقفة مع الخطيب المفوه سهيل بن عمرو ...، أحد أشراف قريش وعقلائهم وخطبائهم وساداتهم. أسر يوم بدر كافرا وكان أعلم الشفة فقال عمر: يا رسول الله انزع ثنيتيه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا، فقال: "دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاما تحمده

عليه"، فكان ذلك المقام أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لما توفي ارتجت مكة لما رأته قريش من ارتداد العرب...، فقام سهيل بن عمرو خطيباً فقال: يا معشر قريش لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد، والله إن هذا الدين ليمتد امتداد الشمس والقمر من طلوعهما إلى غروبهما في ظلام طويل...، وثبتت قريش على الإسلام (الشافعي 1966م). ولنتأمل أسلوبه، صلوات الله وسلامه عليه، التربوي وتوجيهه لأصحابه وتقويمه لسلوكهم حتى تتكامل فيهم سمات الشخصية القيادية الداعية إلى الله بأسلوب ميسر يفهمه الناس جميعهم ويستوعبوه على قدر عقوله ومداركهم:

(كان رسول الله إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله أعزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا، وليدا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم وادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم أن تخفروا ذمكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا) (ابن تيمية 1960م).



يتضمن هذا الحديث الكثير من الدروس والعبر التي يمكن للداعية إلى الله أن يتمثل بها وأن يتخذها منهجاً يسير على هداها:

1. وصية الإمام لنوابه وأمرائه وولاته بتقوى الله والإحسان إلى الرعية.
  2. إن الجيش ليس لهم أن يغلوا من الغنيمة ولا يغدروا بالعهد ولا يمثلوا بالكفار ولا يقتلوا من لم يبلغ الحلم.
  3. إن المسلمين يدعون الكفار قبل قتالهم إلى الإسلام وهذا واجب إن كانت الدعوة لم تبلغهم ومستحب إن بلغتهم الدعوة.
  4. إلزام الكفار بالتحول إلى دار الإسلام إذا كانوا مقيمين بين الكفار فإن أسلموا كلهم وصارت الدار دار الإسلام لم يلزموا بالتحول منها (الزرعي 1997م).
- وكان لرسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، أسلوبه الدعوي المحبب إلى النفس غير المنفر فقد كان يوصي أصحابه ويدعوهم إلى تبشير الناس بدعوة الإسلام، ويرشدهم إلى التيسير عليهم، وقد ورد في الحديث الصحيح: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" (البخاري 1987م). إنه أسلوب يأتي على السجية فلا كلفة ولا غموض ولا إغراب، وقلة الغريب، بل ندرته، في كلام النبي، صلوات الله وسلامه عليه، أجدر الأمور بالملاحظة في إقامة المثل والنماذج لأساليب البلاغة العربية (العقاد 1960م).

#### • تأثير الفن الخطابي:

الخطابة فنٌ نثري، يهدف إلى التأثير في المستمع والعمل على إقناعه لتعديل وتغيير سلوكه بناءً على قوة تأثير حجة الخطيب، ويقوم الفن الخطابي على البلاغة والبراعة والقدرة على ترك بصمات واضحة وبارزة تدفع بالمستمع إلى سلوك مسلك معين ومحدد، ويكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء السامع (الجاحظ 1965). وأما الخطبة فهي نص شفهي؛ ولذلك، لا بد من توفر مواصفات في النص وفي مؤديه ليحقق الإقناع والتأثير في المتلقي؛ الأمر الذي يقتضي

جهازة الصوت وجمال الهيئة وحُسن النبوة وسلامة النطق من العيوب، أما النص، فلا بد فيه من سهولة اللغة، وأن تراعى فيه المناسبة ومستوى ادراك المخاطب، وعبروا عن ذلك بقولهم: لكل مقام مقال (الموسوعة العربية 2004م). قال عمر (رض): خطبت، عند زياد، خطبة ظننت أنني لم أقصر فيها عن غاية، ولم أدع لطاعن علة، فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن (الجاحظ 1967م).

من هذا المنطلق يمكننا القول بأن فن الخطابة قد وجد في الدين الإسلامي ضالته المنشودة، حيث توفر لهذا الضرب من فنون الأدب ما لم يتوفر للعديد من الفنون الأخرى، فنما وترعرع، وقد أبقى الإسلام على القصيدة الشعرية وفن الخطابة إلا أن القرآن الكريم والأحاديث النبوية كانت وسيلته الإعلامية الأولى؛ مما جعل من الخطابة فناً مستقلاً قائماً بذاته، فكان الخطباء يبارون الشعراء بل ويبرزونهم في الكثير من الميادين، فصاحة وبياناً.

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما \* جعل اللسان على الفؤاد دليلاً  
لا يعجبناك من خطيب قوله \* حتى يكون مع اللسان أصيلاً  
خطبة الجمعة:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الجمعة: 9.

إن المتفكر والمتدبر لخطبة يوم الجمعة، والغرض الذي جعلها فرضاً يجب على المسلم القيام به؛ يجد أنها تشتمل على الكثير من الحكم الجليلة والمواعظ البليغة التي تدعو وتدفع بالمسلم إلى السعي الحثيث إلى المساجد لعله يظفر ببعض من تلك الجواهر النفيسة واللائل النادرة، والتي من خلالها يمكن للخطيب أن يترك الأثر العظيم في نفس الفرد المسلم وبالتالي يتغير سلوكه الروحي والنفسي والعقلي؛ ولا بد من أن ينعكس كل ذلك

على المجتمع فيعود عليه بالنفع من حيث التوادد والتراحم والتكافل الاجتماعي، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال الإنصات العقلي والقلبي للشخص، وليس السمع بالأذان دون أن يقع الحديث في الفؤاد قبل أن يطرق الأسماع حينها تكون الخطبة قد أتت أكلها والخطيب قد أكمل دوره، فتتكامل الأدوار في نفس المسلم حينها يمكننا أن نقول بأنه (المصلي) تخرج في المسجد أي أنه قد تلقى الكثير من العلوم والمعارف في فسحة زمنية قصيرة، ولكنها أشبه بملقعة أو جرعة من الدواء تقي النفس البشرية من الوقوع في براثن الشيطان وحبائله، أو يتبع هوى النفس، وليس هذا وحسب، بل إن تلك الجرعة هي التي تدفع بالنفس الإنسانية إلى البحث عن المزيد من العلم مما يجعلها ترتقي وترتقي إلى أعلى مراتب السمو النفسي والروحي والعقلي؛ كل ذلك من خلال السمع والبصر وتدبر القلب:

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الأعراف: 204).

(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ) (الأحقاف: 29).

لنتأمل الآيتين السابقتين اللتين يلفتنا فيهما الحق جلّ وعلا إلى أهمية السمع والاستماع ولا يقف الأمر عند ذلك الحد بل يتعداه إلى الانصات بغرض التأمل والتدبر من خلال التركيز والانتباه حتى ندرك ما يرمي إليه المتحدث .

(عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: كان النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له) (الترمذي 1970م)، ولا شك أن هذا هو النموذج الذي علينا أن نتمثل به في سلوكنا، سواء أ كنا متحدثين (مرسل) أو كنا مستمعين (مستقبل). ومن الواجب علينا الإنصات إلى الإمام في خطبة الجمعة والتأمل والتفكير فيما سمعناه من كلام وقول، فقد قال رسولنا الكريم (عليه أفضل الصلاة والتسليم): (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا) (البخاري

1987م). كذلك ورد في صحيح البخاري: (أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت) (مسلم 1987م). ولا شك في أن خطبة الجمعة تمثل منبرًا إعلاميًا للتواصل بين جميع فئات المجتمع المسلم، وهي تشتمل على العديد من السمات المميزة لها عن غيرها من العبادات.

#### ● قدسية المسجد:

لقد كان للمسجد أثر عظيم في حياة رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، فهو الذي ارتضاه المشركون ليكون حكمًا بينهم، عندما اختصموا في وضع الحجر الأسود في مكانه (ابن هشام 1950م)، وسُلت السيوف وكادت تسيل الدماء، ومن المسجد أُسري به: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الإسراء: 1.

كما أن أول عمل قام به رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، في يثرب، والتي سماها المدينة المنورة وسماها الصحابة مدينة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هو بناء المسجد. لقد لعب المسجد الدور الأبرز والأعظم في تأسيس وبناء الحضارة الإسلامية منذ العهد الأول، عهد رسولنا الكريم، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، وكيف أنه وضع، عند قدومه إلى المدينة، أسس الدولة ورفع دعائمها حين بنى مسجده الشريف، الذي كان مسجدًا جامعًا وجامعة تخرج فيها الكثير من العلماء الأفاضل، في شتى المجالات، أولئك الذين حملوا على عاتقهم مهمة أداء الأمانة وتبليغ الرسالة، ثم جاء الصحابة الكرام الميامين، (عهد الخلافة الراشدة)، رضوان الله تعالى عليهم، فلم يألوا جهدًا في رعايتهم وحمايتهم للمسجد فحفظوا له حقه وعرفوا دوره في تأسيس وبناء المجتمع المسلم الحق. ولم تزل المساجد، في العصر الأموي والعباسي، قبلة لكل العلماء ومنارات يهتدي بنورها طلاب العلوم، الدينية الشرعية، الفلك، الفلسفة، الهندسة، الطب، الرياضيات، وحتى اللغة والأدب من شعراء وكتاب بلغاء... إذ لم يستثن المسجد علمًا من العلوم، أو معرفة إنسانية إلا وفُتِّحَتْ (ولا

نقول فَتَحَتْ) له الأبواب مشرعةً، فازدهرت العلوم النقلية النصية منها والعقلية الفكرية، لاسيما وأن المساجد بيوت الله يؤدِّي فيها المسلمون عباداتهم اليومية المفروضة، والمسجد عبر التاريخ الإسلامي لم يكن مكاناً للعبادة فحسب بل كان مركزاً للعلم والثقافة تُعقد فيه حلقات الدرس ويتخرج فيه كل طالب العلم والعلماء الأجلاء. أي أن مهمة المسجد لم تنحصر في الصلاة، وإلا لم نكن في حاجة لتحديد موضع بعينه لإقامة الصلوات؛ لأن الأرض كلها مسجد يصلح لأداء الصلاة، (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل) (البخاري 1987م). وقد ورد في كتب الحديث: (عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها) (ابن حبان 1950م).

المنابر وتغيير السلوك:

من المهم جداً وقبل كل شيء معرفة خصائص وسمات الفئة أو الجماعة التي يريد كل منبر إعلامي أن يوجه لها الخطاب، سواء أكان هذا المنبر، محطة إذاعية أو قناة تلفزيونية، أو الصحف السيارة والدوريات ..، والآن ظهرت وسائل تقنية حديثة أخذت في تقديم طرحها الإعلامي في ثوب جديد مختلف عن وسائل الإعلام التقليدي القديم، وتمثل تلك الوسائل التقنية في شبكة الأنترنت وما فتحته من نوافذ متعددة ومتنوعة عبر ما بات يعرف بمواقع التواصل .. وتكمن خطورة تلك الوسائل التقنية المستحدثة فيما تتميز به من سرعة فائقة وهذه ميزة ممتازة، لا جدال حولها، إلا أنها تفتقر إلى الضابط والوازع الديني والأخلاقي في كثير من الأحيان؛ الأمر الذي قد يتسبب، بل تسبب بالفعل، في الكثير من الكوارث وأحدث العديد من المآسي اللا إنسانية واللا أخلاقية.

لقد تغير، تماماً، مفهوم الإعلام التقليدي القديم، واحتدم الصراع وباتت المنافسة على أشدها، بين القديم والجديد، فالكل يريد أن يرسخ قدمه ويثبت وجوده؛ من هنا باتت الحاجة إلى معرفة السمات والخصائص التي يمكن من خلالها تصنيف المتلقي، سواء

كفرد أو مجموعة، من أجل ذلك يعكف جميع خبراء الإعلام، ليلاً ونهاراً، على العمل على تصنيف وتحليل أذواق الناس وأمزجتهم وسلوكياتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ...، وعليه فإن هناك العديد من السمات التي يمكن على ضوءها تصنيف الجماهير المستهدفة من قبل وسائل تقديم خدمات الإعلام: النوع (الذكور/ الإناث)، العمر، المهنة الوظيفية، الأعراق، المعتقدات والأديان، الميول والاتجاهات العقلية (The Formation of Attitudes)، والاهتمامات الثقافية والفكرية، الهوايات، القدرة على الاستيعاب والفهم، البناء النفسي والمكون الاجتماعي، تكوين الآراء...، كل هذا أدى إلى ازدياد مساحة الحرية التي ربما بلغت حدًا من الانفلات يصعب ضبطها، هذا إن يكن من المستحيل السيطرة عليها.

## المبحث الثاني

### • علم النفس والإعلام

يقوم الإعلام، بوسائله المختلفة، بدور يعد من الأهمية بمكان، حيث يطلع الإعلام بالعديد من المهام وفي شتى المجالات بلا استثناء، فهو يهتم بنشر الوعي والثقافة والأدب والعلوم، وغيرها من الأخبار والحقائق والآراء والأفكار بين الناس، إذ إن وسائل الإعلام عليها أن تعبر عن نبض المجتمع وحركته لتعكس ما يدور فيه من أفكار واتجاهات وميول، فالإعلام، اليوم، هو لسان حال الأمم والمجتمعات. ويعتبر المتلقي (الجمهور) هو الركن الرئيس الذي يدور عليه مفهوم التواصل بين الناس، وتتجسد أهمية الاتصال (Communication) فيما يحققه من مضامين وقيم أخلاقية وإنسانية، كتحقيق المشاركة (Participation)، وليست مجرد نقل (Transshipment) فمصطلح المشاركة (Participation) يعني مجرد النقل والذي ينتهي معناه عند المصدر؛ أما (Participation) فيعني التفاعل والمشاركة.

ويرى علماء النفس والاجتماع: أن من المعروف أن الميول والاتجاهات في الفرد والجماعة تتأثر بما لدى الإنسان من انفعالات (Emotions) (عيسوي 2005م)؛ فتغير الشعور والأحاسيس النفسية يعتمد على الحالة الانفعالية أو التفاعلية التي تعتمل في داخل الشخص نتيجة للمؤثرات البيئية المنتشرة في كل مكان، والتي تلتقطها الحواس الظاهرة أو الخفية، وبناء عليه يتشكل السلوك الإنساني:

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)  
الإسراء: 36.

#### • علم النفس والمعتقد الديني:

مما لا شك فيه، أن علم النفس يتناول الجانب الديني والعقدي في الإنسان، أفرادًا وجماعات، ليست الحديث عن مفهوم الأديان والمعتقدات من باب الحديث عن الأديان والتمييز بينها من حيث الحق والباطل، فهذا شأن كفانا الفقهاء وعلماء الدين عنا البحث فيه، ولكن علم النفس يتناول دراسة المعتقدات من جانب المنظور النفسي وما تحدثه تلك المعتقدات من تأثير قوي في الجوانب السلوكية لدى الفرد والجماعة، لاسيما وأن الدين يعتبر من أكثر المكونات في النفس البشرية تأثيرًا في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية العقلية والنفسية ..، ويرى المؤرخون ...، أن من المستحيل أن نفصل السياسة عن الدين، والدين عن الحياة الاجتماعية، والحياة الاجتماعية عن الآداب والفنون (بيرت 1985م). فالأسرة، من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية، تلعب أقوى الأدوار في تشكيل شخصية وسلوك الفرد، ثم يأتي دور الدولة، ممثلًا في التعليم بأشكاله المختلفة، لتضع بصمتها في بناء الشخصية وتكوين المواطن الصالح، حيث تقوم الكتب المدرسية والمعلم بتشكيل اتجاهات التلاميذ وميولهم، أما أخطر تلك المؤثرات فيتمثل في دور المؤسسة الدينية الذي لا يقل أهمية عن دور المؤسسات التعليمية، بل ويفوقها في مضمار قوة التأثير النفسي والروحي، فالمسجد، على سبيل المثال، وما يلقي من

على منبره من الخطب التي تنطلق بها حناجر الخطباء لتجد طريقها إلى قلوب المصلين قبل أسماعهم، يمكن أن يكون لها كبير الأثر عليهم في مجال تقويم السلوك وتوجيهه الوجهة التي يريدها الخطيب، إما نحو التسامح وقبول الآخر أو نحو العنف التطرف ضد المجتمع (محمود 2019م).

يدرس علم النفس الإسلامي وظائف وكالات الأنبياء العالمية الناطقة بالفرنسية والإنجليزية، ويدرس تأثير المحطات الإذاعية والتلفزيونية (عيسوي 2005م)، ويدرس، كذلك، خصائص وسمات المعتقد الديني من حيث قوة تأثيره الروحي والعقلي والنفسي، من هنا نشأت العلاقة بين المعتقد الديني والتربية بشتى أنواعها ومختلف ضروبها؛ ولذلك سعى علماء النفس والتربية والاجتماع والفقهاء .. وغيره من المشتغلين بفلسفة التربية إلى الاستفادة من تلك القوة العقديّة الدينية في تنشئة الأبناء تنشئة اجتماعية (Socialization) تقوم على القيم والمبادئ الأخلاقية التي يريدون غرسها في الناشئة الصغار، حتى ينشأوا على حبها والتشبث بها بحيث تكون جزءاً لا يتجزأ من شخصية الفرد وبالتالي تحافظ الجماعة على تراثها وتنقله عبر الأجيال المتتالية، وبهذا تضمن تماسكها وبقاءها الثقافي والاجتماعي. فالدين إذًا يمثل وسيلة فعالة من وسائل الحفاظ على الحياة الاجتماعية وترابطها، ومن هنا انبثت جماعات تقول بأن مبدأ السلام (عيسوي 2005م) لا يتحقق إلا من خلال القوة والاستعداد النفسي والبدني والمالي ..، للدفاع عن المقدسات وكل ما هو غال ونفيس ومن أجل مواجهة كل مترصد وعابس بحقوق الأمة الإسلامية، فالمثل العربي يقول: (إذا لم تكن ذئبًا أكلت الذئب)، فالاستعداد للحرب يمنع وقوعها، وهذا المبدأ واضح فكل القوى العظمى تتحاشى اندلاع الحروب في ما بينها:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ) الأنفال: 60.



إن عملية التربية أو التطبع الاجتماعي أو ما يمكن أن نطلق عليه التنشئة الاجتماعية (Socialisation)، إنها العملية التربوية التي يخضع فيها الفرد لتدخل إيجابي، بواسطة المؤسسات الاجتماعية التي تهتم بإعداده للمستقبل من خلال غرس مجموعة المعايير الاجتماعية والقيم الثقافية الموجودة في البيئة المعينة لكي يتقبلها النشء ويتمكن من التعامل معها بشكل إيجابي سلس (عيسوي 2005م).

ويشكل الجانب الروحي في الإنسان واحدًا من أقوى العوامل التي يمكن لعلماء التربية الاستفادة منها في مجال التربية والتوجيه والإرشاد، فعندما تعمل العوامل الروحية مع العوامل المادية في تناغم وانسجام فإن تأثيرهما يكون أكثر قوة في البناء الاجتماعي. ويعد الدين أقوى المؤثرات الروحية لأنه يشمل الإنسان ككل ولا يمكن للعقائد أن تنفصل عن البشرية على الإطلاق (الجمعي 1988م). ويمكن أن نلمس ذلك من خلال مراسم تنصيب الرئيس الأمريكي التي تلعب الكاتدرائية (الكنيسة) دورًا بارزًا فيها، رغمًا عن علمانية الدولة.

وقد اهتم علم النفس بدراسة تأثير الأديان ومدى قدرتها على أحداث التواصل الاجتماعي، حيث ركز علماء النفس، في دراساتهم، على أساليب الإقناع (Persuasion)، وتكوين الرأي العام، وبناء الدور الاجتماعي، وتأثير وسائل الإعلام، كما انصببت جهودهم على الاهتمام بدنميات الجماعات والدوافع والسلوك والتفاعل بين الفرد والجماعة والتأثيرات المتبادلة بينهما ...، ويتوقف نجاح العملية التواصلية على مدى تحقق المشاركة الوجدانية والانفعالية بين كل من المرسل والمستقبل، وبذلك يتكون الإطار المرجعي للفرد حيث يضع الشخص نفسه موضع الغير من الناس فتنتقل إليه أحاسيسهم ومشاعرهم ويستطيع أن يتنبأ بسلوكهم وتصرفاتهم التي يمكنه أن يبني عليها أسلوب حياته في البيئة الاجتماعية التي ينتهي إليها. وتقوم وسائل الاتصال (communication media)، في ظل الوضع الراهن، بدور حيوي وفي غاية الأهمية، في مجال تحقيق الوحدة الوطنية والتماسك الاجتماعي والثقافي والفكري ..، ولا يمكننا أن نهمل أهم الأدوار على الإطلاق هو الدور

العقدي والديني وهو من أهم ما يمكن للإنسان أن يحافظ على تمسكه به (عيسوي 2005م).

### • سيكولوجية السلوك الدعوي:

لقد اتصفت الدعوة الإسلامية، في منهجها الرسالي والدعوي، بالعديد من السمات المميزة لها عن سواها من الشرائع والمناهج الدعوية المتعددة والمختلفة، والمنتشرة بين الناس منذ القدم، وقد اختص الله تعالى المنهج الإسلامي بسمة تعتبر من أسما وأجل السمات المميزة للشريعة الإسلامية السمحاء، التي حباها المولى جلّ وعلا باليسر والتيسير ولك أن تتلمى تلك الصورة في أي القرآن العظيم، قال تعالى:

(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) البقرة: 185.

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) البقرة: 286.  
(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْخَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) التغابن: 16.

يقول الإمام الطبري في تفسيره للآية (آل عمران: 102): عن قتادة قوله:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) آل عمران: 102 .

ثم أنزل التخفيف واليسر وعاد بعائده ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه فقال فاتقوا الله ما استطعتم فجاءت هذه الآية فيها تخفيف وعافية ويسر (الطبري 1960م). وكذلك ورد في السنة النبوية المطهرة: (عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يَأْثِمَ فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه

والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمة الله فينتقم لله) (البخاري 1987م).

ولم تقف مزايا التشريع الإسلامي عند موضع التيسير والتسهيل؛ وإنما تعدته وتجاوزته إلى مراتب أعلى ودرجات أسما تجلت في وسطية الإسلام، قال تعالى:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) البقرة: 143.

والوسطية الحقّة؛ لا تعني فقط التعايش مع الآخر، بل تعني قبوله بكل مكوناته: العرقية، الثقافية، العقدية، النفسية، الاجتماعية، .. وهذا هو ديدن الإسلام المتسامح في تقبله للآخرين والتعايش معهم بكل توافق وانسجام، والشاهد على ذلك؛ التعايش التصالحي الذي شهدته الحضارة الإسلامية وقدمته كنموذج للعالم، حيث تواءم المسلمون وتعايشوا مع عدد غير قليل من الملل والأعراق، لم ير العالم له مثيلاً في الأمم والحضارات السابقة، كال يونانية، الرومانية، الفارسية، الهندية، الفرعونية .. وغيرها من حضارات إنسانية كانت تؤمن بالتفوق العرقي والثقافي والعقدي على الآخرين، إذًا فالإسلام قد سما وعلا بسبقه وتميزه عن سواه بما قدمه من تعايش سلمي مزج فيه بين كافة الملل والأعراق والثقافات البشرية المتنوعة والمتعددة هي التي صنعت وصاغت الحضارة الإسلامية، التي نهض المسجد بها وأخذ فيها دور القيادة والريادة بلا مدافع ولا منازع.

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) البقرة: 143.

### المبحث الثالث

#### • مفهوم الدعوة في ظل التقنية الحديثة

التقنية (Tchnical) أو التكنولوجيا (Technological)، مصطلح علمي يشير إلى الأنشطة التي يستخدمها الإنسان في سبيل الوصول إلى عمل مبتكر أو اختراع مستحدث،

وترتبط التقنية بالنشاط العقلي والذهني لدى الإنسان الذي يمتلك القدرة على الابداع والابتكار، وبما أن النشاط الذهني يقوم على التعليم؛ فإن التقنية كذلك، لا تنفك عن التعليم ومجالاته المتعددة. كذلك تستهدف التقنية العمل على تلبية حاجات الناس وإشباع همهم لكل جديد مبتكر. وقد تمكن الناس، عبر الأزمنة المختلفة، من تقديم الكثير من الأدوات والآلات والمواد، والأساليب ..، التي عملت على تقليل المشقة وتيسير سبل العيش للناس، فاكتشفوا أنواعًا من الطاقة التي أسهمت في تقدم الإنسانية وتطورها بشكل فاق حد التصور العقلي، وعلى هذا، فإن التقنية تشمل الاستفادة من المخترعات والاكتشافات ..، لكي يتميز العمل باليسر، والجودة وقلة التكلفة السرعة وزيادة الانتاج ومضاعفته لكي يتمكن العالم من تقديم الكثير من الخدمات التي يحتاجها الناس لمواجهة أعباء الحياة وضغوطها المستمرة. وتعتبر الشبكة العنكبوتية من أحدث ما توصل إليه الإنسان من ابتكارات وقد أسهمت الاتصالات الحديثة في ومعالجة البيانات على هذه التقنية، وخاصة تقنية الإلكترونيات (الموسوعة العربية 2004م).

#### • التقنية التواصل الاجتماعي:

لقد مر السلوك البشري، بدءًا بالصيادين وجامعي الثمار ومرورًا بالمزارعين ومربي الحيوان، وانتهاءً بمستخدمي الشبكة العنكبوتية، بعدة مراحل من التطور البشري، والذي لا يمكن تفسيره إلا في ضوء ما يمكن أن نطلق عليه العقل أو الذكاء الجمعي؛ والذي ساعد بدوره الإنسانية على التكيف مع البيئة والاستمرارية في الحياة، ويرى جوزيف هنريش (Joseph Henrich) الأستاذ بجامعة هارفرد، أن السمة الرئيسية المميزة للإنسان، عن بقية الكائنات، تكمن في قدرته على جمع المعلومات ومشاركتها مع الآخرين ...، وأن الثقافة تشكل القوة الدافعة والمحرك الرئيس لأنها تؤثر في الجسم والعقل والتراث، أي أن نقل المعرفة والقدرة على التعلم من الآخرين هما خاصيتان للتطور البشري. وفي الثقافة الأفريقية، من الحكم والأمثال، ما يشير إلى أهمية الجماعة والترابط الاجتماعي فيقول

المثل: " نحن وحدنا نمضي أسرع، ومعاً نمضي إلى أبعد من ذلك"، وفي الثقافة اليابانية يقول الشاعر ريونوسوكي ساتورو: " فرادى، نحن مجرد قطرة ماء، ومعاً نكون محيطاً" (إكيدر 2020م)، وفي الأدب العربي، يقول الطغرائي (موسوعة الشعر العربي 2009م):

كونوا جميعاً يا بنيّ إذا اعترى \* خطبٌ ولا تتفرّقوا أحاداً

تأبى القِداحُ إذا اجتمعنَ تكسراً \* وإذا افترقنَ تكسرتُ أفراداً

لعب التعليم، سواء أكان تعليمًا مدرسيًا منتظمًا أو غير منتظم، الدور الأبرز في التقدم التقني الذي انتظم العالم، منذ القدم وحتى لحظة انفجار الثورة المعلوماتية (Information Revolution)، التي شملت العالم، ومن المؤكد الذي لا شك فيه أن تلك الثورة التقنية كانت نتيجة حتمية لظهور تقانة الشبكة العنكبوتية التي أحدثت ثورة في مضمار هندسة الاتصالات؛ مما انعكس بشكل إيجابي على التواصل المعرفي والثقافي الذي شكل قوة ضاربة توازي قوة الأسلحة الفتاكة، بل إنها لتتفوق عليها في كثير من الأحيان، وبناء عليه فإن تقنية الاتصالات هي (Feed back) للتعليم الابداعي والابتكاري الذي تقدم وتطور بفضل تلك الثورة المعلوماتية وقد أفاد التعليم، أعظم فائدة، من تلك الطفرة التقنية وما وفرته من إمكانات معرفية فاقت تصورات العقل البشري. وتشكل عملية التفاعل الاجتماعي والمشاركة (Participation) هدفًا رئيسًا للاتصال (Communication)، إذًا فالإتصال ليست فقط مجرد نقل (Transshipment) لمعلومات وبيانات، وإنما هو، سر الحياة، بل هو الحياة بكاملها؛ ويعود ذلك إلى ما يمكن تحقيقه من مضامين وقيم أخلاقية وإنسانية تحدث أثناء عملية التواصل الإنساني، يرى المؤرخ والكاتب الإنجليزي ويلز : \* (H.G. Wells) أن ما يحدث من تقدم وتغيير في حياتنا الاجتماعية هو ناجم عن استخدامنا للوسائل التي يستخدمها الفرد أو الجماعة من أجل خلق بيئة تواصلية تتوافق والحياة الاجتماعية التي تجمع بين الأفراد والجماعات، والتي ربما بدأت بالألفاظ أو الإشارات، ثم جاءت مرحلة التسجيل والتدوين، تلتها ظهور الطباعة، بعد ذلك جاءت الآلة، والآن نحن نتسهم قمة التقدم التقني ممثلًا في انتشار للشبكة العنكبوتية الواسعة

الانتشار؛ الأمر الذي أدى إلى بروز مصطلح القرية العالمية (Global Village) وتقوم فلسفة وأهمية الاتصال على أهمية ما يقوم به الإنسان من أنشطة فلسفية وعقلية تبعث به على التفاعل الاجتماعي؛ وذلك من خلال تواصله مع المحيط الاجتماعي (البيئة)، حيث ترتفع وتتسامى، القيمة الفلسفية للبعد التواصلي، بين الأفراد والجماعات، ويرتبط ذلك بالدور التفاعلي الذي تلعبه الشخصية الاجتماعية في محيطها الاجتماعي، فمن خلال التواصل الاجتماعي نلاحظ أن ثمة نشاط عقلي فكري تفاعلي قد نجم عن التواصل.

إن المتتبع لأنشطة التقنية يجد أن الفضاء قد اكتظ بالعديد من الأقمار الصناعية (Satellite Communication)، بل وازدحمت السماء بها، للحد الذي لم يعد فيه موضع لقمر، ومن خلال تلك الأقمار السابحة في السماء؛ تعالت أصوات التقنية التكنولوجية معلنة عن وجودها عبر المحطات التلفزيونية والإذاعية، وقبل أن يستوعب الناس تلك الأصوات التلفزيونية والإذاعية المرتفعة انهمرت عليهم السماء وجاءتهم بسيل عرم من المواقع الإلكترونية أو ما يسمى بمواقع التواصل الاجتماعي (Social Media) ومحركات البحث: كالفايس بوك (Facebook)، الواتس (WhatsApp)، جوجل (Google)، التويتر (Twitter)، واليوتيوب (YouTube)، وغيرها من المواقع المجانية أو التي لا تكلف إلا مبلغاً زهيداً من المال. لقد تمكنت تلك المواقع (مواقع التواصل الاجتماعي) من اكتساح كل المتاريس والحواجز والسدود المتينة والتي تركز على ارث تاريخي مجيد وماض عريق...، ولكن كل ذلك التراث التاريخي وغيره لم يشفع لها أما سلطة مواقع التواصل التي طغت على الجميع وتسيدت الموقف بقوة لا تضاهيها قوة.

ومواقع التواصل الاجتماعي هي، منظومة متصلة من الشبكات الإلكترونية التي تمنح كل مشترك من مشتركها الحق في إنشاء موقعه الخاص أو صفحته الخاصة به، وبناء عليه يتمكن كل مشترك (مدون) من تدوين ونشر ما يشاء من الأحاديث والأخبار المدونة والمصورة (عبد الصادق 2002م). كما يمكنه العبث بكل شيء، فقد أشارت بعض

الدراسات إلى أن أكثر من 60% يستخدمون تلك الإمكانيات الهائلة ويمهدون وقتهم وجهدهم وطاقاتهم في اللهو والمجون (المواقع الإباحية)، وأقل من 30% هم يستفيدون من إمكانيات شبكة الاتصالات في ما هو مفيد، أو في ما فيه خير الناس ومنفعتهم.

### \* نتائج البحث:

1. إن المسجد هو المؤسسة التعليمية والدعوية الأولى، ومن المهم هنا أن نتذكر دوره لاسيما في العهد الزاهر للحضارة الإسلامية، وما قام به من دور في مجال التواصل والترابط والتوافق، وفيه تمثلت عظمة الإسلام وشموخه الذي كان أشبه بتلك المآزن التي تعالت وسمت في السماء سمو الدعوة الإسلامية في شتى بقاع الكرة الأرضية.
2. لقد تمكنت الدعوة الإسلامية، منذ الوهلة الأولى، من تأسيس أرضيتها الصلبة من أجل بناء جسور التواصل بين المؤمنين بها، وبين غيرهم ممن لم يستعصم بحبلها المتين، وسعت الدعوة الإسلامية إلى ضبط تلك الأرضية المشتركة بضوابط أخلاقية صارمة، لا مجال للتلاعب بها أو فيها، وهي التي أسست لتواصل المسلمين وترابطهم؛ فتم ذلك من خلال: الخطب المنبرية الدورية ..، وفي العبادات كالأذان والصلوات ومناسك الحج والعمرة...
3. إن جميع تلك الحلقات التي صنعها الدين الإسلامي وأسس لها منذ اللحظة الأولى؛ كانت بمثابة سلسلة من التواصل والترابط المتصل بلا انقطاع، مما مكن الدين الإسلامي من الاستمرارية فتناقلته الأجيال، عبر الحقب الزمنية، جيل بعد جيل.
4. إن الدين الإسلامي هو دين الإنسانية جمعاء، مهما طال ثبات المسلمين، فهو الدين الذي يدعو للتمسك بكل فضيلة والبعد عن كل رذيلة، وهو الدين الذي يتوافق مع المنطق السوي والعقل السليم.

\* مصادر الدراسة ومراجعها:

- القرآن العظيم.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي: صحيح ابن حبان ج4، مؤسسة الرسالة (بيروت) 1993م.
- أحمد إسماعيل الجمحي: التربية المقارنة، دار الفكر العربي (القاهرة) 1988م.
- أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس: مجموع الفتاوى، ج19.
- أسد الغابة، ج1.
- الجاحظ، عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج: 1، دار صعب (بيروت).
- سيريل بيرت: علم النفس الديني، ترجمة: سمير عبده، منشورات دار الآفاق الجديدة (بيروت) 1985م.
- الصديق عبد الصادق: دور مواقع التواصل في العمل الخيري، كتاب المؤتمر العلمي الدولي الثاني لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ج2، (القاهرة) 2020م.
- عباس محمود العقاد: العبقريات، عبقرية محمد، المكتبة العصرية، (بيروت) 2005م
- عبد الرحمن إكيدر: ثقافة الجينان المشتركة، مجلة الدوحة، العدد: 148، فبراير 2020م، وزارة الثقافة القطرية.
- عبد الرحمن العيسوي: موسوعة ميادين علم النفس، علم النفس الإعلامي ج7، دار الراتب الجامعية، (بيروت) 2005م.
- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ابن هشام): السيرة النبوية، ج:2، المكتبة العلمية (بيروت).
- محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله: أحكام أهل الذمة، ج1، رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام (بيروت)، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1997م.



- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: الجامع صحيح المختصر، ج1، دار ابن كثير، اليمامة، (بيروت) الطبعة الثالثة، 1407هـ/1987م.
- محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج4.
- محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، ج5، دار إحياء التراث العربي (بيروت).
- محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني: سنن ابن ماجه، ج1، دار الفكر (بيروت).
- محمود الألوسي أبو الفضل: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، جزء11، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، ج1، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الموسوعة العربية العلمية، إصدار 2004م.
- موسوعة الشعر العربي الاصدار الأول(www.arabipoetry.com)، ديوان، الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الطغرائي (455-513هـ).
- نجوى يحيى وطلال محمود: التمثلات الاجتماعية للآخر وعلاقتها بالتطرف الديني، لدى طلاب الجامعات في لبنان، مجلة علم النفس، العدد: 123، 2019م، تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر).